استهلال

ان الحمد لله نحمده ونستغفره ونستهديه ونستعينه ، ونصلي على نبيه ونبينا محمد ﷺ النبي الامي الذي هو مصباح الانسانية الاول الذي قادها الى النور واخرجها من الظلمات . ونسأله جلت قدرته ان يأخذ بايدينا لما فيه خيرنا في الدنيا والآخرة وان يجعل اعمالنا خالصة القصد ، منزهة الغرض وبعد : يسر كاتب هذه السطور ان يقدم الى المثقفين في عالمنا العربي ، والى المهتمين بالفكر الانساني وتطوره والمكتبات وتقدمها ، والكتب ودراستها ، هذه الدراسة الاولية لتطور الكتاب العالمي مخطوطاً ومطبوعاً ، وكله امل وثقة ورجاء في الله العلي القدير ان يقع هذا الكتاب موقع القبول ، ويرجوه تعالى ان ينفع به .

وان المؤلف يقدم شكره اولاً وآخراً الى مولاه العلي القدير الذي مازال يلحظه بعين رعايته ويمده بسبب من عنده ، ويرجوه ان يديم عليه نعمة الصحة والامن انه سميع قدير . كما يريد ان يتقدم بالشكر لكل من ساعده ، في اعداد هذا الكتاب ، بشكل من الاشكال ، وان يتولى الله جزاءه ومكافأته . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الرياض : ٨ صفر الخير ١٤٠٢ هـ
٤ كانون الأول ١٩٨١ م

الدكتور محمد ماهر حماده

obeikandl.com

المقدمة

هناك تلازم بين المكتبة والكتاب ، كما وان هناك تلازماًبين الكتاب والفكر والحضارة بشكل عام . والواقع ان الكتب هي اوعية المعرفة ، وهي السبيل الاكثر شيوعاً لحفظ التراث الفكري الانساني العام . ولايمكن تخيل مكتبة بدون كتب . ومن هنا نبعت اهمية الكتب واهمية دراستها .

وتشمل دراسة الكتب عناصر عدة تجتمع كلها لتشكل الكتاب :

فهناك أولاً الكتابة وتطورها وأنواعها وأشكالها والمراحل التي مرت بها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه .

وهناك المواد التي استعملت في الكتابة عبر العصور والدهور ، ومقدار صلاحيتها للبقاء ومقاومة عوادي الزمن .

وهناك ايضاً اللغات التي كتبت بها تلك الكتب وكيف كتبت وماماثل ذلك من امور .

وهناك طريقة كتابة الكتاب هل هي باليد ، كتابة ، اونقشاً ، ام هي بالآلة تصويراً وطباعة وماماثل .

وهناك اخيراً المضمون الفكري للكتاب وهو العنصر الاكثر اهمية في الموضوع .

ولاحاجة للتنويه بأهمية الموضوع وصلته بالفكر الانساني والتحضير الانساني العام ، فالموضوع واضح الاهمية وتكشف دراسته عن تطور الفكر الانساني وردود فعله من اجل حفظ هذا الفكر ونشره والاستفادة منه .

ولقد بدأ الانسان يسجل معارفه على الحجارة وجدران الصخور وعلى الطين الطري وعلى سعف النخيل وعلى الاخشاب وعلى اوراق البردى والرق وجلود

الحيوانات ؛ ثم اخترع الورق الذي كان انتشار استعماله في الكتب ثورة كبرى ذات نتائج بعيدة المدى في تطور صناعة الكتاب وفي نشر المعرفة الانسانية . ثم اتت المخترعات الحديثة من تصوير والكترون واشرطة ممغنطة وغير ممغنطة وبطاقات وكتب الكترونية وكلها تعزز من اهمية الكتاب ودوره في تاريخ الفكر الانساني والحضارة الانسانية .

وان دراسة تطور الكتاب من هذه الزاوية يكشف مدى التطور العظيم والتقدم الممتاز الذي حققته الانسانية في مجال حفظ المعرفة ونشرها ، ويدل على مدى تقدم هذا الشعب في هذا المضمار او تخلفه .

ولقد سرنا في دراستنا هذه على نسق تاريخي مبتدئين من اقدم العصور ومنتهين مع مطالع القرن العشرين . ولقد ركزنا انتباهنا على العالم ، وبشكل خاص البؤر الحضارية الكبرى التي اثرت فيما عداها من الاماكن .

ولقد بحثنا نشوء اللغة بشكل عام وارتباطها بالتسجيل والكتابة ، ودرسنا تطور لغات الجنس البشري وكتاباتها حتى وصلنا الى اختراع الالفبائية التي درسناها بشيء من التفصيل لاهمية ذلك بالنسبة للعالم ككل .

بعد ذلك درسنا تطور الكتاب والكتابة في العصور القديمة في كل من بلاد الرافدين ومصر وبلاد اليونان والرومان .

ثم درسنا تطور الكتاب في اوربا ابان العصور الوسطى الاوربية وبينا العوامل التي اثرت في هذا التطور .

انتقلنا بعد ذلك الى دراسة الورق واختراعه وانتشاره ثم درسنا اختراع الطباعة الثابتة والمتحركة اولاً في الشرق الاقصى ثم في اوربا .

ودرسنا بعد ذلك انتشار الطباعة في العالم واشهر الطابعين والعوامل التي اثرت في الطباعة والظروف الفنية والاقتصادية للطباعة في اوربا بشكل خاص ونتائج اختراع الطباعة .

ولم نغفل الطباعة وانتقالها الى العالم الجديد القارة الامريكية فدرسنا دخول الطباعة اليها وانتشارها فيها وما تم في هذا الحقل من انجازات .

ثم نوهنا بتقدم الطباعة وانتشارها في عدد من دول اوربا وامريكا

وذكرناالاختراعات التقنية التي جرت في هذا الحقل وادت الى ترقية صناعة الكتاب . ولم نهمل اطلاقاً ، خلال ابحاثنا ، التلازم بين التقدم الحضاري الفكري وبين تقدم صناعة الكتاب وانتشاره .

وختمنا بحثنا بالوقوف عند مطالع القرن العشرين ولم نتعرض للتطورات الحديثة التي تمت في هذا الحقل في مطلع القرن العشرين وذلك لاهميتها القصوى وضخامتها ولانها تحتاج إلى حيز أكبر بكثير مما يقدمه هذا العمل المتواضع .

ولم نتعرض لما جرى في هذا المجال في العالم العربي الاسلامي ، لان الموضوع مهم كل الاهمية ، بل اكثر اهمية من ان يكون فصلاً في كتاب عام عن الموضوع ، كما وان حجم الكتاب الحالي لايساعد كثيراً على اضافة اشياء اخرى اليه . ونرجوا ، بعون الله ، ان نوفق لاصدار كتاب يدرس تاريخ الكتاب وتطوره ، مخطوطاً ومطبوعاً ، في العالم العربي الاسلامي .

ونعود فننوه ان الموضوع اهم واضخم بكثير من ان يفيه حقه كتاب من الكتب مهما كان جيداً وواسعاً . ولولا ندرة الكتب العربية الباحثة في هذا الموضوع لما تجرأ المؤلف على طرق هذا الموضوع الصعب الشائك المعقد . ولاندعي ان كتابنا هذا جمع فأوعى ، وانما هو محاولة اولى نرجوا أن تكون سبباً في فتح الباب للتأليف في هذا المجال وفي اثارة الهمم وتلقيح الافكار . وهذا ما يهدف اليه المؤلف من هذا الكتاب ، وسيشعر المؤلف انه نال جزاءه كاملاً عن هذا الكتاب ، اذا وصل الى علمه انه بكتابه هذا قد اثار همم الآخرين للخوض في هذا الموضوع الهام .